وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

محاضرات في تاريخ الوطن العربي

الحديث والمعاصر

للمرحلة الثالثة

قسم الجغرافية

الدراسة الصباحية والمسائية

إعداد

م. د. عبد السلام الربيعي

م. وفاء خالد

٢٠١٧-٢٠١٨

الأثر الكبير في وصول البرتغاليين الى هذه الأراضي العربية في حينها حكم بلاد المغرب العربي خلال المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلادي دولتان قويتان هما:

أ- **دولة المرابطين:** تعد حركة المرابطين التي ظهرت في القرن الحادي عشر للميلاد واحدة من الحركات الإسلامية التي شهدها جزء كبير من القارة الافريقية. وقد استطاعت إقامة دولة لها في المغرب العربي فشهد المغرب حينها ازدهارا اقتصاديا وحضاريا واستطاع أحد زعمائها (يوسف بن تاشفين) ان يهزم قوات قشتالة في معركة (الزلاقة) في ١٠٨٦، وحاول انقاذ العرب المسلمين في الاندلس الذين كانوا آنذاك يتعرضون لخطر الضغط الفرنجي الصليبي.

ب- **دولة الموحدين:** حققت هذه الدولة وحدة سياسية وازدهار حضاري في المغرب العربي منذ سنة ١١٦٠ بعد تدهور دولة المرابطين لكن سرعان ما ظهر في الضعف والانقسام في أواخر القرن الثالث عشر وانقسمت بين قوى متعددة كل واحدة منها تحاول التوسع على حساب الأخرى مما فسح المجال امام الدول الاستعمارية من التدخل في شؤونها.

ونظرا لقرب البرتغال من المغرب الأقصى فقد كان في مقدمة الدول الاستعمارية التي اتجهت الى السيطرة عليه منتهزه فرصة اضطراب الأوضاع هناك، واستطاع البرتغاليون سنة ١٤١٥م السيطرة على ميناء (سبته) في ساحل المغرب الشمالي، فتصدى لهم الشعب المغربي وحاول سلطان المغرب (أبو سعيد المريني) استعادة هذه القاعدة، لكنه فشل بسبب عدم تكافؤ قواته مع القوات البرتغالية.

استطاعت حملة بقيادة الملك (الفونسو الخامس) احتلال ميناء (القصر الصغير) او قصر (مصموده) الواقع بين سبته وطنجة ين سنتي ١٤٦٣-١٤٦٤، وباءت بالفشل نتيجة المقاومة الباسلة التي ابداها العرب هناك

بعد ذلك استمرت الأوضاع سوءا في المغرب مما جعل البرتغاليون يستولون على (ازمور و اصيلا) وبعد ذلك تمكنوا من احتلال ثغر طنجة اعظم المرافئ الواقعة على البحر المتوسط.

استمر الشعب المغربي بالمقاومة ومهاجمة الحاميات البرتغالية وشل حركتها ولم يبق امام البرتغال سوى طنجة ومرغان لكن سرعان ما دب الضعف في السعديين أثر تعدد الزعامات والصراعات حول السلطة مما أدى الى تعرض البلاد الى التردي الاقتصادي والفوضى السياسية، وقد سمحت هذه الأوضاع بظهور قوة جديدة تمثلت بقوة الاشراف العلويين الذين كانوا يحكمون إقليم (تافيلالت) في الجنوب الشرقي من المغرب منذ القرن الرابع عشر الميلادي وقد امتد نفوذهم ابان ضعف السعديين الى وادي السوس.

اما الاستعمار الاسباني فقد شارك البرتغال في التغلغل نحو الأراضي المغربية فاحتل مدينة تطوان ومدينة مليلة وآلت مدينة سبته إليهم عقب انتصارهم على البرتغاليين سنة ١٦٦٥.

٢- الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الأحمر:

كان لظهور البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر اثر بعيد في تاريخ الخليج العربي واقطاره، فقد حولوا طرق التجارة عن مجراها التقليدي المار عبر الحر المتوسط والبحر الأحمر فالبحر العربي والعراق، فحرموا منطقة الخليج العربي من مصدر أساس من مصادر ثروتها.

ومع حلول القرن السادس عشر ثبت البرتغاليون اقدامهم في سواحل الهند واحتكروا تجارة التوابل والاحجار الكريمة والحرير حاول حكام مصر من المماليك ان يصدوا الزحف البرتغالي وذلك لوجود البرتغاليين في المياه العربية والجنوبية كما اوردنا سابقا فحرمهم من موارد اقتصادية كبيرة كانوا يحصلون عليها وخاصة من الضرائب

المفروضة على البضائع الشرقية المارة بمصر لذلك تعاونوا مع (البنادقة) الذين كانوا يتولون عملية نقل البضائع.

وقد سعى المماليك لتقوية الدفاع عن المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عن طريق الاستيلاء على اليمن (عدن) ولكنهم فشلوا في ذلك. كما تعرض المماليك لضربة قاصمة في المحيط الهندي بعد هزيمة اسطولهم امام الاسطول البرتغالي في موقعة (ديو) عام ١٥٠٩، فحاول المماليك التعاون مع الصفويين ضد البرتغال وفشلوا في ذلك اذ سبقهم البرتغاليون في التفاهم مع الشاه الصفوي.

ان فشل المماليك في طرد البرتغاليين فسح المجال لظهور العثمانيين كقوة جديدة إزاء الغزو البرتغالي، كما حدث مثل ذلك في المغرب العربي فقد استطاع العثمانيون الاستفادة من هذه الأوضاع في السيطرة على الوطن العربي واخضاعه لنفوذهم قرابة أربعة قرون.

ومع ان العثمانيين كانوا قادرين للوقوف بوجه الغزو البرتغالي الا انهم لم يستطيعوا القيام بعمل حاسم في الخليج العربي، كما فعلوا في البحر الأحمر عندما حلوا محل المماليك في مصر. ففي سنة ١٥٣٨ احتلوا عدن واغلقوا باب المندب في وجه البرتغاليين، لكنهم لم يقدروا ان يفعلوا شيئا في البحار الشرقية بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي لبعد اسطولهم عن قواعده الرئيسية في البحر المتوسط، فأرسلوا اساطيلهم البحرية الى المحيط الهندي والخليج العربي لمحاربة البرتغاليين الا انها لم تستطع اضعاف البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وهكذا اخذ العرب على عاتقهم مقاومة الغزاة البرتغاليين فقاموا بثورات عديدة في مناطق متعددة من الخليج العربي كما ساعد خضوع البرتغال للعرش الاسباني سنة ١٥٨١ ووصول الإنكليز والهولنديين الى الخليج العربي في اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم فيه، ولكن قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين

من المنطقة، ففي سنة ١٦٢٤ انتخب (ناصر بن مرشد اليعربي) اماما في عمان واستطاع توحيدها وإعلان دولة اليعاربة فنتج عن هذه الوحدة حركة تحرر من البرتغاليين لا هوادة فيها فتحررت صحار ومسقط وتمت تصفية النفوذ البرتغالي على الشاطئ الغربي للخليج العربي، وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي اخر معقل للبرتغاليين في الخليج العربي دمره العمانيون.

٣- الغزو الاسباني للجزائر وطرابلس وتونس:

اتخذ الغزو الاسباني لأقطار المغرب العربي طابعا استعماريا اذ لم يقتنع الاسبان بالقضاء على الوجود العربي في الاندلس وانما هدفوا الى مطاردة العرب في شمال افريقيا والوصول الى مصادر ثروتهم الأساسية. ولقد بارك البابا إسكندر بورجيا الرابع عشر نشاطات الاسبان في هذا المجال ونشر قرارا يعطي الولاية لملكي اسبانيا على الأراضي التي يبسطان السيطرة الاسبانية عليها.

احتل الاسبان مرفأ عنابة سنة ١٤٦٤ وبعد حصار قرابة شهرين ومقاومة عنيفة من سكانها استطاع الاسبان احتلال مدينة المرسى الكبير غربي الجزائر في أيلول ١٥٠٥ وفي ١٧ اذار ١٥٠٩ احتل الاسبان مدينة وهران واستولوا على جزيرة اسطفلة فأصبحت مدينة الجزائر ضمن مدى مدفعيتهم فاحتلوها سنة ١٥١١ وحاولوا التوغل داخلها لكن المقاومة العنيفة من سكانها أفشلت ذلك.

لم تقف مطامع الاسبان على احتلال الجزائر بل امتد لتشمل طرابلس فاقتحموها يوم ٢٥ تموز ١٥١٠ وبلغت خسائرهم قرابة (٣٠٠) قتيل، وفي ٢١ حزيران ١٥٢٥ احتل الاسبان مدينة تونس واباحوا لجنودهم نهبها انتقاما من أهلها الذين قاومها الاحتلال.

وهكذا كان الاحتلال الاسباني للجزائر وطرابلس جزءا من خطة اوربية استعمارية استهدفت تطويق العالم الإسلامي بالوطن العربي وذلك لمحاولة اخضاع

هذه المنطقة لنفوذهم والسعي لطمس معالم الحضارة العربية وقد استطاع الاسبان والبرتغاليون من توجيه ضربة شديدة الى اقتصاد الوطن العربي بعد ان وضعوا أيديهم على تجارته فأصبحوا قادرين على إيصال البضائع الى اوربا بأسعار تقل عن أسعار البضائع التي كانت تمر بالأقطار العربية وتدفع رسوما كثيرة.

لم يكن العثمانيون وهم القوة الفتية في العالم الإسلامي آنذاك كما اشرنا من قبل بغافلين عن تلك التطورات الخطيرة التي كانت تحرك العالم في مطلع القرن السادس عشر الامر الذي أدى الى اندفاعهم في البحار ذات القيمة التجارية ولاسيما البحر المتوسط والمحيط الهندي وقد ذكرنا ان التغلغل الاستعماري الأوربي في الوطن العربي كان من العوامل التي جذبت الدولة العثمانية الى المنطق العربية لذلك وجد السلطان سليم الأول ان على الدولة العثمانية اذا ما ارادت المحافظة على ممتلكاتها ان ترمي ثقلها في ذلك الصراع قبل فوات الأوان فتوجه نحو الوطن العربي ويقصد من ذلك تحقيق عدة اهداف أهمها بسط السيطرة العثمانية على الحوض الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط وابعاد نفوذ البنادقة والجنوبيين عنه والحد من عبث القرصنة الاوربية وتامين المواصلات البحرية للدولة العثمانية وتجارتها

اسباب الغزو البرتغالي والاسباني للمنطقة العربية والاسلامية:

١- **سيطرة العرب على طريق التجارة:** كانت التجارة بين الشرق والغرب تتم اما عبر البحر الاحمر ومصر او الخليج العربي والعراق والشام وجميعها تحت سيطرة العرب وكانت الخلافات السياسية تغلق احيانا هذه الطرق مما يسبب انقطاع البضائع نحو اوربا كما ان اسعار تلك البضائع كانت عالية جدا لكثرة الرسوم الجمركية واجور الشحن وادى سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين عام ١٤٥٣ الى جعل هذه الطرق تحت رحمة العثمانيين لذا اصبح البحث عن طريق جديد مهمة ملحة للدول الاوربية ومنها البرتغال واسبانيا.

٢- **عوامل اقتصادية:** ويعد هذا العامل من اهم الاسباب التي دفعت البرتغاليين والاسبان للتوجه نحو الخليج العربي والبحر الاحمر ساعدها على ذلك استقرار احوالها السياسية وتشجيع ملوكها للرحالة مثال هنري الملاح الذي اهتم بشؤون البحر وانشأ مدرسة بحرية مكنت البرتغاليين من ادخال تحسينات في بناء السفن واستخدام البوصلة البحرية فضلا عن اطلاعهم على المعارف العلمية العربية وهذه الامور ساعدت البرتغاليين والاسبان على القيام بالرحلات الاستكشافية في افريقيا والهند والتي توجت باكتشاف راس الرجاء الصالح عام ١٤٨٧ من قبل فاسكو ديكاما بمساعدة الملاح العربي ابن ماجد.

٣- **العامل الديني:** ويتمثل بمحاولة بعض المغامرين البرتغاليين والاسبان من رجال البحر بنشر الديانة المسيحية في مناطق جديدة وما ذلك الا امتداد لفكرة الحرب الصليبية التي كان نشر الدين المسيحي جزء من اهدافها.

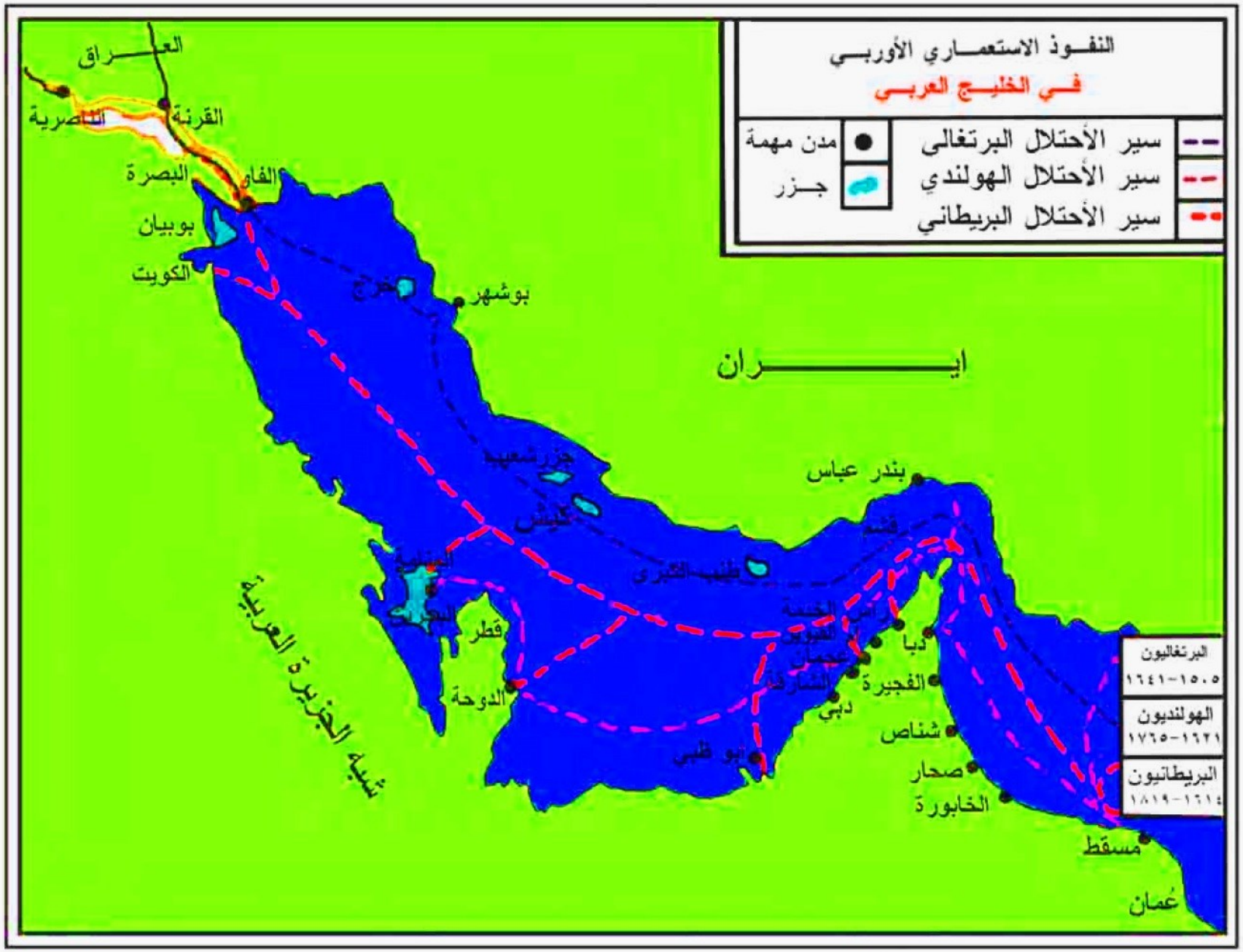

امتداد النفوذ الإستعماري الأوربي في الخليج العربي من القرن السادس عشر الميلادي الى بداية القرن العشرين

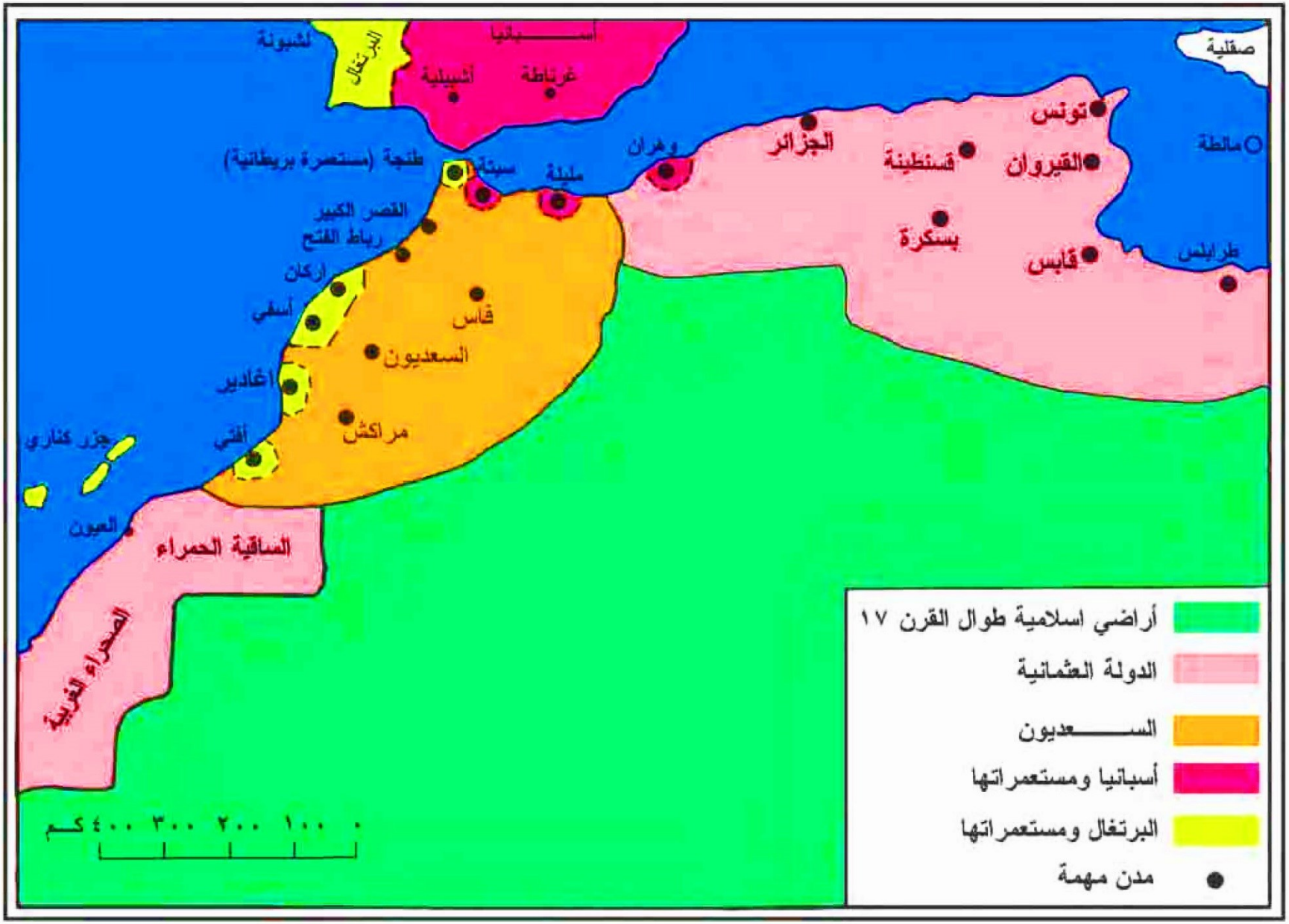

المغرب العربي خلال القرن السابع عشر الميلادي